

## أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

يَقُولُ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ. وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»<sup>1</sup>. لَا شَكَّ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَمْنَعُنَا مِنْ اِكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ وَاسْتِهْلَاكِهَا مَا دَامَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي دَائِرَةِ الْحَالَالِ. لَكِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَلَّا نَحِيدَ عَنِ الْاِعْتِدَالِ فِي هَذَا الْخُصُوصِ، وَأَنْ نَكُونَ مُعْتَدِلِينَ فِي اِنْفَاقِنَا. فَإِنَّ مُجَاوَزَةَ الْحَدِّ فِي الشِّرَاءِ وَالِاسْتِهْلَاكِ؛ مِنَ الْاِسْرَافِ الْمُنْهَى عَنْهُ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>2</sup>.

## اِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ مِنْ آفَاتِ عَصْرِنَا الْحَدِيثِ هَذَا: الْاِسْرَافُ. بَلْ هُوَ مِنْ أَمَهَاتِ هَذِهِ الْآفَاتِ. وَإِنَّ التَّطَلُّعَ إِلَى شِرَاءِ الْمَزِيدِ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِنْ غَيْرِ لُزُومٍ، وَالرَّغْبَةَ فِي شِرَاءِ الْجَدِيدِ رَغْمَ اِنْسِدَادِ الْحَاجَةِ بِالْمَوْجُودِ، وَشَهْوَةَ تَرْقِيَةِ مُودِيلِ كُلِّ شَيْءٍ بِاسْتِمْرَارٍ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ عَوَارِضِ مَرَضِ الْاِسْرَافِ. لِهَذَا حَدَرْنَا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ الَّذِي يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّتِهِ ﷺ وَقَالَ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يَخَالِطْهُ اِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ»<sup>3</sup>.

إِنَّ عَصْرَ التَّكْنُولُوجِيَا الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ يُبَسِّرُ لَنَا الْكَثِيرَ مِنَ الْأُمُورِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي صَالِحِنَا دَائِمًا. فَإِنَّ الْبَشَرِيَّةَ الْيَوْمَ تَتَعَرَّضُ لِهَجُومِ شَرَسٍ مِنْ قِبَلِ وَسَائِلِ الْاِعْلَامِ، يَسْتَعْلِهُا أَصْحَابُ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ الضَّخْمَةِ لِلتَّأثيرِ عَلَى عُقُولِ النَّاسِ وَاِثَارَةِ رَغْبَاتِهِمْ فِي شِرَاءِ أَشْيَاءٍ مَا بِشَكْلِ مُسْتَمَرٍّ.

## أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

وَإِذَا كَانَ الْحَالُ كَمَا وَصَفْنَا، فَإِنَّ مِنْ وَاجِبِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَصَرَّفَ وَفْقَ الْعَقْلِ وَالْمُنْطِقِ السَّلِيمِ. فَلَا يُمَكِّنُ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>4</sup> لَا يُمَكِّنُ لِهَذَا الْمُؤْمِنِ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ هَبَاءً. فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ حِينَمَا يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّهُ يُحَاسِبُ أَيْضًا عَلَى مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اِكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اِكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»<sup>5</sup>.

## اِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ الْاِسْلَامَ يَنْهَى عَنِ الْاِسْرَافِ، وَيَحْتُ عَلَى الْاِعْتِدَالِ وَالتَّوَسُّطِ فِي الْاِنْفَاقِ وَالِاسْتِهْلَاكِ. وَقَدْ قَالُوا: (مَا خَابَ مَنْ اسْتَشَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَحَارَ، وَمَا اقْتَصَدَ مَنْ عَالَ).

وَإِنَّ لَنَا لَعِبْرَةً فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي يُعَكِّسُ لَنَا مَدَى دِقَّتِهِ ﷺ فِي أَمْرِ الْاِسْرَافِ. رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِسَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: «مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: «أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟» قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ»<sup>6</sup>.

أَخْتِمُ خُطْبَتِي بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكُرِيمَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا \* إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾<sup>7</sup>.  
أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْفَظَنَا مِنْ كُلِّ حَالٍ وَتَصَرَّفٍ يَكُونُ عَلَيْنَا يَوْمَ الْحِسَابِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.



<sup>5</sup> رواه البزار في مسنده والطبراني - انظر مجمع الزوائد ٣٤٦١٠، رقم الحديث (١٨٣٧٣)

<sup>6</sup> مسند أحمد، رقم الحديث (٧٠٦٥)

<sup>7</sup> سورة الإسراء: ٢٦-٢٧

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الزهد، ٦؛ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، ٧؛ واللفظ لمسلم

<sup>2</sup> سورة الأعراف: ٣١

<sup>3</sup> سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، ٢٣، رقم الحديث (٣٦٠٥)

<sup>4</sup> سورة البقرة: ٣